ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN 2572-0023 / EISSN: 2716-9065

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلة التاريخية الجزائرية

المجلد: 04، العدد: 02 (2020)، ص249-261

الإعلام الفرنسي الاستعماري في مواجهة الإعلام الثوري الجزائري

"دار كليبير للتزوير أنموذجا"

French-colonial media versus Algerian revolutionary media

"House of Cliper for forgery modeled"

كريم مقنوش

جامعة الدكتور يحي فارس– المدية (الجزائر)

Karimhamoud34@hotmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2020/11/10

تاريخ القبول: 2020/11/28

تاريخ النشر:2020/12/09

الكلمات المفتاحية:

- ✓ الثورة الجزائرية
- ✓ الإعلام الثوري الجزائري
- ✓ الإعلام الفرنسي
- ✓ دار كليبير
- ✓ جريدة المجاهد

الملخص:

جندت فرنسا ترسانة من الأساليب للقضاء على الثورة الجزائرية ومن بينها الإعلام بكل فروعه للتقليل من أهميتها، ومنذ اللحظات الأولى من اندلاع الثورة بدأت السلطات الفرنسية بمؤسساتها الإعلامية تبث الشك والريب في نفوس الجزائريين لعزلهم عن الثورة، فحاولت بجميع الوسائل الإعلامية الماكرة أن تتصدى له، فأنشأت مركزا للتزوير الإذاعي والصحفي، كأداة للتضليل والتزوير يسمى "**مركز كليبير**"، إلا أن يقظة وحنكة مصالح الاستخبارات التابعة لوزارة التسليح والاتصالات العامة اكتشفت هذه المؤامرة، وأدركوا خطورة الوضع فجندوا كل طاقتهم في الداخل والخارج وتصدوا للتزييف وتزوير الحقائق.

Article info

Received :10/11/2020
Accepted:28/11/2020
Publication:09/12/2020

Key words:

- ✓ The Algerian Revolution
- ✓ Algerian Revolutionary Media
- ✓ French Media
- ✓ House of Cliper
- ✓ newspaper El Moudjahid.

Abstract :

France has recruited an arsenal of ways to eradicate the Algerian revolution, including the media with all its branches to reduce its importance, and since the first moments of the revolution, the French authorities have started to cast doubt on Algerians' ways of outing themfrom the revolution, and tried by all the media to confront it, and established a center for radio and press forgery as a tool of misinformation which called the "Cliper Center", but the vigilance and sophistication of the intelligence interests of the Ministry of armament and Public Communications discovered this plot, and they realized the danger of the situation, so they recruited all their energy at home and abroad and responded to forgery.

. مقدمة:

جابهت الثورة التحريرية هجمة إعلامية شرسة واسعة النطاق، من قبل الاستعمار الفرنسي بأجهزة متطورة ومتقدمة، من صحف وإذاعة ومناشير دعائية وغيرها بتقنيات عالية، للتقليل من أهميتها على المستويين الداخلي والخارجي، ومنذ اللحظات الأولى من اندلاع الثورة بدأت السلطات الفرنسية بمؤسساتها الإعلامية تبث الشك والريب في نفوس الجزائريين لعزلهم عن الثورة، إلا أن قادة الثورة أدركوا خطورة الوضع فجندوا كل طاقتهم في الداخل والخارج وراحوا يتصدون للتزييف وتزوير الحقائق، فكان ميلاد إعلام ثوري تمثل في الصحافة المكتوبة وهي "**المقاومة الجزائرية**" ثم "**المجاهد**"، والصحافة المسموعة تمثلت في "**إذاعة الجزائر الحرة المكافحة**" و"**صوت الجزائر**" وإذاعات بلدان شقيقة.

لم تقتنع فرنسا الاستعمارية بوجود تنظيم ثوري محكم يستطيع أن يقف ندا للند أمامها، فحاولت بجميع الوسائل الإعلامية الماكرة أن تتصدى له، فأنشأت مركزا للتزوير الإذاعي والصحفي، كأداة للتضليل والتزوير يسمى "**مركز كليبير**"، لكن يقظة وحنكة مصالح الاستخبارات التابعة لوزارة التسليح والاتصالات العامة تكشف هذه المؤامرة ليقوم محررو جريدة المجاهد بفضحها في مقال مطول ومفصل. وانطلاقا من هذا المنظور هل استطاع هذا المركز أن يحقق ما أسس من أجله، وهل استطاع في عزل المجتمع الجزائري عن الثورة، وهل تصدى للإعلام الثوري من خلال أجهزته من صحافة وإذاعة؟ وكيف كان رد فعل قادة الثورة منه؟

2. الإعلام الفرنسي والمهمة الاستعمارية

جندت فرنسا ترسانة من الأساليب للقضاء على الثورة التحريرية ومن بينها الإعلام بكل فروعه، من صحف ومناشير دعائية وإذاعة وتلفزيون وغيرها للتقليل من أهمية الثورة، ومنذ اللحظات الأولى من اندلاعها أوعزت السلطات الفرنسية لأبواقها الإعلامية بالتصدي لهذه المؤامرة التي تستهدف الوجود الفرنسي وتهدد كيانه في الجزائر خاصة، وفي شمال إفريقيا عامة، وهذا لا يكون إلا بممارسة عمليات الاضطهاد الإيديولوجي والحرب النفسية للوصول إلى المبتغى، وفي هذا الصدد يرى روجي ترنكي (Roger Trinquier) أن العامل الأساسي في الحرب الحديثة هو السكان، فالهدف الذي تنشده الحرب الحديثة لم يعد كما في السابق بواسطة الاحتلال العسكري الجغرافي، وإنما الهدف هو إخضاع السكان بجميع الوسائل[1]، وأوكلت هذه المهمة إلى ضباط الشؤون الأهلية[1] S.A.S ومكتب العمل البسيكولوجي.

أقدمت فرنسا على استعمال الوسائل المنافية للأخلاق الإنسانية والقوانين الدولية، وقد أدى بها الأمر إلى إنشاء هيكلا خاصا بالتزوير الإعلامي أسندت مهمة الإشراف عليه لجاك سوستال[3] (Jacques Soustelle) المعروف بتعصبه لفكرة الجزائر فرنسية، وأحد المنظمين للجاسوسية الفرنسية والمشرف على اليد الحمراء وغيرها من عصابات الإجرام، والمشرف أيضا على عصابة للتزييف وتزوير البلاغات والتعليقات الخاصة بجيش التحرير الوطني، ولم يكتف بهذه الأعمال فحاول التشويش على صوت الجزائر وتزييف جريدة المجاهد.

كان سوستال قد أعدّ خطته القتالية للجزائر الفرنسية، فقبل رحيله من الجزائر ودّعه الأقدام السوداء يتوسلون منه البقاء قال لهم: "**إذا أردتم أن أتمادى في الدفاع عن الجزائر الفرنسية، إذن، دعوني أرحل**"، كان عليه إذن أن يعمل في الخفاء بالقرب من المركز في باريس وينشأ جبهة، لذلك وقف ضد كل سياسة مناقضة للإبقاء على المستعمرة[4]. وبفضل أجهزة الاستخبارات والأمن التابعة لوزارة التسليح والمواصلات العامة MALG ومديرياتها الفرعية في محاربة الجوسسة، تفطنت لهذه العصابة التي يقودها سوستال وقامت بجمع كل المعلومات عنها، وزودت بها جريدة المجاهد والتي صاغتها في مقال مطول في إحدى صفحاتها بعنوان "**دار للتزوير الإذاعي والصحفي**"[5] فضحت فيه سياسة الجمهورية الخامسة المبنية على التعفن والانحلال في أجهزتها من خلال قيام نظام الدولة على التجسس والتآمر والتزوير، ضاربة عرض الحائط أسس ومبادئ الإعلام المحترف.

3. دار للتزوير الإذاعي والصحفي (دار سوستال)

أنشأ مركز "**كليبير**" بإحدى مقاطعات فرنسا في دومين لاشانتري (جوي) في أور–إي– لوار أسموه "**دار سوستال**"، وهو عبارة عن بناية فخمة يحيط بها بستان كبير وقد اشترت الدار باسم شركة وهمية، أسسها أحد الجواسيس الفرنسيين لتغطية العمل الحقيقي الذي يجري بين جدران هذا المركز، حيث يتم تحضير برامج إذاعية وصحفية مزيفة بإشراف أخصائيين فرنسيين ينتمون كلهم إلى قسم الجوسسة الفرنسي وعصابات اليد الحمراء.

هذا المركز كان تحت المسؤولية المباشرة للرائد "**كولون**" وهو من ضباط الشؤون الأهلية المعروفين بسوابقهم في شمال إفريقيا، ويساعده النقيب "**لنجيلا** " الذي طرد من تونس لسوابقه فيها، والملازم الأول "**فرانكو**" الذي طرد من المغرب لنفس السبب، وبستوس Bastosse المستشار التقني في ديوان الوزير وعضو في مصلحة التوثيق الخارجي والجوسسة المضادة[6]، هؤلاء يعمل تحت إمرتهم جواسيس وعملاء وطريدي العدالة من جميع البلاد العربية في المشرق والمغرب.

4. أعمـالـها

وحسب ما اكتشفته المخابرات الجزائرية ونقلته جريدة المجاهد أن المركز كان يقوم بعدة أعمال تمثلت فيما يلي:

– تسجيل حصص إذاعية عادية باللغة العربية تذيعها محطة الإرسال الباريسية رقم 02 في مساء كل يوم ابتداءً من الساعة العاشرة.

– تسجيل حصص إذاعية تحت اسم "**صوت الجزائر**" تقوم بالدعاية للحركة المصالية التي يوجهها البوليس السري الفرنسي ويغذيها بعناصره بإمكانياته لتقوم بأعمال التخريب والخيانة ضد الوطنيين الجزائريين المقيمين بفرنسا.

– تسجيل حصص التزوير وهي المهمة الأساسية لمركز "**كليبير**" وتنقسم أعمال الإذاعة المزورة إلى خمسين قسما، اقتصرت على ذكر قسمين، فالقسم الأول كان يذيع باسم "**إذاعة صوت العرب من القاهرة** " على نفس موجات صوت العرب وفي نفس الوقت وبنفس اللهجة التي يصحبها قليل من "**التشويش الإذاعي**"، حتى يتسنى المستمع بأنه يصغي إلى إذاعة صوت العرب الحقيقية التي اعتاد المستمع في شمال إفريقيا على أن يسمعها مصحوبة بشيء من التشويش المسلط عليها من قبل المحطات الفرنسية، وفي نفس الوقت يقوم هذا القسم بالتشويش على حصة "**صوت الجزائر**" التي تذاع من إذاعة تونس ثلاث مرات في الأسبوع.

وأما القسم الثاني من أنواع التزوير الإذاعي فهو يختص بتزوير بلاغات عسكرية منسوبة إلى قيادة جيش التحرير الوطني، والتي ترسل إلى قيادة الجيش الفرنسي في الجزائر، حيث يلتقطها ضابط مختص تابع لمكتب الدعاية النفسية المعروف بالمكتب الخامس[7] للجيش الفرنسي، وهو يتكفل بإذاعتها بواسطة جهاز إرسال خاص يتنقل على كامل خط موريس.

– تحرير نشرات باللغة العربية ومنها النشرات الدورية التالية:

* المجلة العربية التي كانت تصدر من باريس.

* جريدة "**البرق**" la Dépêche والتي كان يديرها العقيد "**تيرسي**"، الوثيق الصلة بالبوليس السري الفرنسي، ويتولى نشرها ضباط الشؤون الأهلية الموجودون في فرنسا.

* مجلة "**الجزائر**" والتي كان يشرف عليها الرائد "**غوسي**" من ضباط الشؤون الأهلية في المغرب في عهد الحماية الفرنسية.

* تكوين عناصر إضافية يمكن استخدامها في إحدى الفروع المذكورة آنفا، وأضافت جريدة المجاهد أن حوالي ثلاثين شخصا من بينهم ست نساء قد أخرجتهم السلطات الفرنسية من المحتشدات في الجزائر

وأرسلتهم إلى مركز "**كليبير**"، ليتكفل بتكوينهم رائد مدني معروف بنزعته الاستعمارية وأحد قادة حركة 13 ماي 1958.

وبخصوص العاملين في هذا الحقل الجاسوسي لم يقتصر نشاطهم إلى هذا الحد من الأعمال التي أشارت إليها الجريدة، وإنما تعداه إلى أعمال أخرى مختلفة تصب كلها في مصب الدعاية الاستعمارية وأعمال التزوير والتخريب.

وقد ذكرت جريدة المجاهد أنه في شهر أوت سنة 1959 قام رئيس الحركة من تيزي وزو والمدعو سليمان عازم شقيق النائب المزيّف والي عازم بزيارة لمركز كليبير، وسجّل في استديوهاته نشيداً لحنه بنفسه وسماه "**نشيد الحركى**"، فتساءلت الجريدة عما أقدم عليه الاستعمار بتشجيعه مثل هذه التفاهات، أم غباوة رجال الدعاية النفسية الفرنسية.

5. ميزانية مركز كليبير

ومن الأمور التي استوقفت الجريدة اكتشافها أن من مصادر تمويل مركز كليبير يتم بواسطة مؤسسات رسمية فرنسية، بحيث كانت تخصص له ميزانية كبيرة لتشجيع هذه العصابات الخارقة للقوانين الدولية والمبادئ الإعلامية. ففي جويلية 1958 فتح قرضا فرنسيا قدره 120 مليون فرنك لمصلحة "**مقاومة الجاسوسية**"، وساهم وزير الخارجية في هذا القرض بـ 50 مليون فرنك، وإدارة الشؤون الجزائرية بمقدار 15 مليون فرنك، كما أن مبلغ 200 مليون فرنك من ميزانية وزارة الخارجية الخاصة بالشرق الأوسط يدفع إلى مركز "**كليبير**"، ويخصص المكتب الخامس ما مقداره 10 ملايين فرنك شهريا، وكان يتولى شؤون ميزانية المركز النقيب "**روبير**" Robert.

6. حراسة مركز كليبير

حسب المعلومات المستقاة من جريدة المجاهد حول هذا المبنى الضخم وما حمله من نشاط جاسوسي إعلامي ضد الثورة التحريرية، كانت له حراسة مشددة ومعززة في الداخل والخارج. ففي الداخل توالت عليه أنواع من الحراسة، في البداية قامت على حراسته مجموعة من الحرس الجمهوري، ثم انتقلت إلى جنود المظلات، ثم إلى جنود اللفيف الأجنبي، وأما الحراسة الخارجية فكانت تقوم على أمنه قاعدة الطيران في "**شارتر**" محاطة بالألغام والقذائف المنصوبة على شكل فخاخ[8].

7. إستراتيجية الثورة في مجابهة الحرب الإعلامية الاستعمارية

لقد أدركت الثورة منذ البداية ثقل المهمة وصعوبة الطريق نحو الاستقلال، وما يتطلبه من إمكانيات ضرورية على اختلاف أشكالها، قبل مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956 كان عبان رمضان يدرك أهمية

المعلومات، بحيث كان يستخدم آنذاك مصطلح الدعاية بدلا من الإعلام. وبعد 20 أوت 1955 أجرى مقابلة مع الصحافي روبرت بارا الذي ادخله إلى الجبال وأجرى مقابلات مع قادة الثورة ونشرت في جريدة "**فرانس أوبسرفاتور France Observateur**" بعنوان "**صحفي فرنسي لدى الخارجون عن القانون، 15-09-1955**" التي أحدثت ضجة كبيرة في أوساط الفرنسيين[9]. وهكذا وجد القادة أنفسهم أمام امتحان صعب كانوا بحاجة ماسة إلى معرفة الأخبار وتلقف المعلومات عن الثورة في المناطق الأخرى، ففي حديث للخضر بن طوبال جاء فيه: "**مما كنت أفكر فيه في الولاية التي كنت موجودا بها، هل انطلقت رصاصة الثورة في الولايات الأخرى، لأن الاتصال لم يكن موجود، بحيث الاتصال بيننا كان يتم بواسطة الجرائد الاستعمارية والإذاعة، التي لم تتكلم وبذلك حدث ذعر كبير...**"[10].

وللتصدي للعدو الفرنسي كان على قادة الثورة اعتماد جملة من الوسائل الإعلامية المقروءة والمنطوقة:

1.7. الإعلام المقروء

جاء في جريدة المجاهد في افتتاحية العدد الأول[11] بعنوان "**بطاقة الازدياد**": "**مع تطور الثورة ظهرت الحاجة إلى ناطق رسمي أكثر من أي وقت مضى، ولا يمكن ترك الحرب التحريرية بدون ناطق رسمي، ولا يمكن إبقاء جبهة التحرير الوطني خرساء، من أجل هذا كله كلفت بتأسيس صحيفة تستجيب لمتطلبات الثورة، ومن خلال الافتتاحية التي تحمل عنوان "بطاقة الازدياد" فإن مهام وأهداف هذه الصحيفة قد حددت بصفة واضحة**"[12].

ولم تمر سنة عن صدور المجاهد حتى صدر قرار بترسيمها من قبل المجلس الوطني للثورة الجزائرية في دورتها الثانية المنعقدة في 20- 27 أوت 1957، لتصبح الناطق الوحيد باسم جبهة التحرير الوطني ابتداءً من العدد الثامن[13]، بعد أن كانت تقاسمها في ذلك جريدة المقاومة الجزائرية[14] بطبعاتها الثلاثة، واعتبرت أول جريدة كسرت احتكار المعلومات من طرف الاستعمار وذلك باندماجها مع المجاهد.

مرت جريدة المجاهد بدورها ثلاث مراحل خلال الثورة التحريرية وهي:

- **الفترة العاصمية:** بدأت بصدور العدد الأول في جوان 1956 مطبوع على آلة الرونيو إلى غاية العدد السادس، أما السابع فقد أتلف عند اكتشاف المطبعة في 25 جانفي 1957.
- **الفترة التطوانية:** انتقلت إلى المغرب ونزلت ضيفة على صحيفة المقاومة الجزائرية بمدينة تطوان من 5 أوت إلى أول نوفمبر 1957، حيث قررت لجنة التنسيق والتنفيذ نقلها إلى تونس لتكون قريبة منها. صدرت فيها ثلاثة أعداد (8-9-10) وتم تعيين رضا مالك على رأسها وبقي محي الدين موساوي سكرتير تحريرها وكانت مزدوجة اللغة.

– **الفترة التونسية:** هي أطول مرحلة، وامتدت من 1 نوفمبر 1957 بالعدد 11 إلى الاستقلال في 30 أفريل 1962 بالعدد 120، تميزت بانسلاخ النسختين، وواصل الطاقم التطواني مهمته على رأس النسخة الفرنسية، بينما أوكل الإشراف على النسخة العربية للمجاهد إبراهيم مزهودي[15].

وهكذا دخلت الثورة التحريرية في معركة حقيقية سميت بمعركة الاتصالات من خلال جريدة المجاهد، لتخوض حرب إعلامية للرد على العمل الدعائي المستمر الذي كانت تقوم به الصحف والإذاعة الاستعمارية، وخير دليل على ذلك فضحها وكشفها لأكبر جهاز جوسسة قام بالتزوير والتزييف للحقائق ضد الثورة والمعروف بمركز كليبير، الذي سبق وأن تطرقنا إليه.

2.7. الإعلام المنطوق

اعتمدت الثورة الجزائرية في البداية على إذاعات الدول العربية[16]من طنجة إلى بغداد لإيصال صوتها إلى الشعب الجزائري وإلى الخارج، كانت إذاعتا القاهرة وتونس أولى الإذاعات التي خصصت برامج محددة في أوقات ثابتة [17] نظرا لكون هذه البرامج ذات فترات إذاعية قصيرة، لا تكفي لتغطية كافة أنباء الثورة التحريرية وأحداثها، قررت قيادة الثورة في مؤتمر الصومام إنشاء إذاعة جزائرية خاصة بالثورة، ففي أواخر سنة 1956 وبداية 1957 استحدثت إذاعة في المغرب[18].

3.7. إذاعة الجزائر الحرة المكافحة المتنقلة

نشأت "**الإذاعة الجزائرية الحرة المكافحة**" بإيعاز من عبد الحفيظ بوصوف[19]، الذي بعث برقية إلى القاهرة لتكوين جنود لتشكيل إذاعة جزائرية سرية، تتكون المجموعة التي كلفت بالعملية رشيد نجار، مدني حواس، علي عسول وعمار حمداني، وتدربوا مدة شهر على الأسلحة وعلى الإذاعة تحت إشراف أحمد سعيد الذي كان مكلفا بإذاعة الأحرار[20].

وفي نوفمبر 1956 قدّم مسعود زقار لنواة سلاح الإشارة مجموعة من معدات تستخدم للاتصال ومعها مولد كهربائي، ذكر في ذلك عبد الكريم حساني: "**إستعنا بمسعود زقار المدعو رشيد كازا لكونه كان رجل أعمال متميز بالذكاء والفطنة، جلب من المعسكرات الأمريكية بالمغرب أجهزة إرسال بـ 5000 واط، وبقوة 12 مرة أكثر ارتفاعا من تلك الأجهزة الأولى من صنف BC610 وهي تجهيزات صنعت لتزويد البحرية الأمريكية كمحطات ثابتة، لإجراء اتصالات لمسافات كبيرة بمساعدة بعض المناضلين الجزائريين المتواجدين بتطوان وطنجة**[21]**، استطاع بوصوف أن يستعملها في "البث الإذاعي"، بحيث شرعت هذه الإذاعة في البث التجريبي في الأسبوع الثاني من ديسمبر، وبعد التأكد من نجاحها، اختير يوم 16 ديسمبر 1956 على الساعة الثامنة مساءً، موعدا للتدشين الرسمي، بحضور بوصوف**

وبومدين وعمار شيبان مسؤول الإمداد". وأول صرخة دوّت "**هنا إذاعة الجزائر المكافحة، صوت جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني يخاطبكم من الجزائر**"[22]، هذه اللحظة كانت يوم شوق وتلهف من طرف المواطنين الجزائريين في الداخل والخارج. وفي خضم هذه المعركة كتبت جريدة المجاهد مقال بعنوان "**ماذا تعرف عن إذاعتنا الوطنية**"، ولخصت ذلك بقولها: "**وهي العبارة التي تدوي كل يوم عدة مرات هي** "**هنا صوت الجزائر الحرة المكافحة**"، ثم أصبحت نغمة تلك العبارة مألوفة ينتظرها السامعون المتلهفون لسماع ما تحمله من أخبار الانتصار، وأضافت المجاهد بأن الذين حاولوا التشويش على صوت الجزائر ومنع وصوله إلى الشعب قد فشلوا كما فشل الذين حاولوا تزييفه بالتقليد والتضليل[23].

ولم يمض شهر واحد حتى انطلق منها النداء التاريخي الموجه للشعب الجزائري ليشن إضرابا عاما لمدة أسبوع[24] استمرت هذه الإذاعة إلى أواخر 1958، وتوقفت لعدة شهور تحت ضغط السلطات الفرنسية على السلطة المغربية، ثم استأنفت في جويلية 1959 بشكل مستقر في الناظور، كانت الإذاعة الأولى بين الحدود الجزائرية المغربية تنتقل في شاحنة من نوع GMC لأسباب أمنية، فيها جهاز على شكل غرفة كل واحد يحمل مكروفون، ومقسمة إلى أربعة حصص، مدني حواس والحسين مأمون بالعامية، ورشيد نجار بالعربية، ويوغورطا بالقبائلية، وأما بالفرنسية فكان يتداول بين عبد القادر معاشو ثم عبد المجيد مزيان، ثم الهاشمي تيجاني، كانت تشمل على بلاغات عسكرية وأخبار وفضح الدعاية الاستعمارية وغيرها، وكان يبدأ العرض من الساعة الثامنة إلى التاسعة والنصف بهذه العبارة: "**صوت جبهة التحرير وجيش التحرير يخاطبكم من قلب الجزائر**" أو "**هذه الجزائر المكافحة صوت جبهة التحرير الوطني**"[25]، ثم يتبعها بنشيد "**هلموا هلموا شباب العرب، جزائرنا يا بلاد الجدود، ومن جبالنا طلع صوت الأحرار، وقسما، وشعب الجزائر**" وغيرها من الأناشيد.

وقد ارتكزت المادة الخبرية الإذاعية على الأنباء العسكرية من هجومات وكمائن للقوات الفرنسية، عرضا وتحليلا مدعّما بالأرقام الفاضحة والكاشفة عن الحقائق، بالإضافة إلى التحليل السياسي بغرض دحض الادعاءات الاستعمارية المغرضة والكاذبة، وحول المصداقية التي حققها الإعلام المنطوق بالتوازي مع تطور الثورة صرح روبير لاكوست في 3 ماي 1958 في سياق حديثه عن استغلال الثورة الجيد للإذاعة، باعتبارها سلاحا هجوميا تستخدمه جبهة التحرير الوطني ضد إدارة الاحتلال الفرنسي، فالإذاعة في منظور الكثير من الفرنسيين تعتبر وسيلة تسلية، في الوقت الذي جعلت منها بعض الدول سلاحا للدعاية [26].

ولما تفطنت فرنسا إلى أهمية هذه الإذاعة وخطورتها بذلت جهوداً من أجل القبض على مستعمليها، وقد أعطى الجنرال "**فور**" تعليمات لجنوده بالولاية الثالثة بتعقب شيئين اثنين وهما أجهزة

الإرسال والمحافظين السياسيين، كما بدأت تستعمل الطائرات العمودية من نوع سكورسكي لمراقبة المناطق الحدودية من الولاية الخامسة، وفي بعض الأحيان حاولوا تدميرها بواسطة ضربات جوية مثل ما حدث في 23 جويلية 1957 ولكن بدون جدوى[27]، ولما فشلت في ذلك لجأت إلى وسيلة أخرى وهي التشويش[28] على إذاعة الجبهة بالمغرب، ثم وسعت العملية على باقي الإذاعات الأخرى كإذاعة صوت العرب من القاهرة.

إن عملية التشويش كانت مكلفة، على حد قول السنوسي صدار لأنها تقضي إقامة شبكة من المراكز بهدف تغطية أوسع نطاق في كامل التراب الجزائري، يحرسها حوالي 10 آلاف جندي، ومن أهم مراكز التشويش في تلمسان، الجزائر العاصمة، المدية، سور الغزلان، تيزي وزو، سطيف، سكيكدة، قالمة وغيرها، وكان يتمثل التشويش في بث ضجيج قوي على نفس الموجات وبنفس الذبذبات، لمنع وصول رسالة الجبهة بوضوح[29]، لكن الرموز والمفاتيح المستعملة من قبل جيش التحرير الوطني حالت دون معرفتها، فأخذت حربا من نوع آخر وهي حرب الاتصالات لعب فيها الذكاء والإرادة دورهما. استطاع مظليان جزائريان كانا يعملان في الجيش الفرنسي الهروب أثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956 والالتحاق بجيش التحرير الوطني في مصلحة الاتصالات وهما عياطة مصطفى وحاكم محمد السعيد دخلا الجزائر عن طريق تونس، تمكنا من دخول في اتصال مع مصلحة الاتصال للعدو فأعطوهم كل المعلومات[30].

4.7. إذاعة الجزائر الحرة المكافحة الثابتة

بدأ الإعداد للمرحلة الجديدة من إذاعة الثورة في مستهل النصف الأول من عام 1959، ويتعلق الأمر بمحطة ثابتة ومستقرة مجهزة بمكاتب واستديو، واختير مقرها في الناظور، وأما الهوائي (l'antenne) فقد تم تركيبه بعيدا عن المكان من طرف مصالح الاتصالات التابعة لوزارة التسليح والاتصالات العامة (MALG)، وتكفل مسعود زكار بمهمة الحصول على جهاز إرسال، وحضّر الطاقم التقني وهيئة التحرير وتم تعيين محمد السوفي مسؤولا عاما[31]. بعد ذلك تدعم الفريق بمنشطين بارزين أمثال عيسى مسعودي الذي قال عنه عبد الرحمن الأغواطي: "**كان صوت عيسى مسعودي حافزا لا مثيل له في صفوف جنود وجيش التحرير، ومغذيا لآمال الجماهير العريضة التي كانت تنتظر على أحر من الجمر، مواقيت صوت الجزائر الذي يخاطبكم من قلب الجزائر**"[32].

ودشنت الإذاعة ببيان لسعد دحلب الذي ختمه بعبارة "**النصر قريب ما يكون عند نهاية الطريق**" "**يحيا جيش التحرير الوطني، تحيا جبهة التحرير الوطني**"[33].

كان برنامج الإذاعة يدوم ساعتين، ويبث ثلاث مرات في اليوم، وكان بث الفترة المسائية هو الأفضل من حيث انتشار الموجات الصوتية، وكان بدوره مقسم إلى ساعة بالعربية ونصف ساعة لكل من الأمازيغية والفرنسية، وبالنسبة للعناوين فهي متنوعة بين تعاليق سياسية، بلاغات عسكرية، مقتطفات من جريد المجاهد، أدبيات الثورة الجزائرية، أناشيد وطنية، بعض المنشورات المناهضة للاستعمار، قارتنا السمراء، تقارير مصالح التنصت، وغيرها[34].

8. تنظيم مراكز التنصت

لم يتوان بوصوف بتنظيم أجهزة للتنصت التي ساهمت في تفعيل إذاعة الجزائر بشكل كبير، وساعدت محرريها على كتابة تعاليقهم وتحاليلهم، ففي 8 جانفي 1957 بدأ مركز التنصت بوجدة المغربية يعمل بطريقة عادية [35] وبالمقابل تم فتح مركز تنصت في مدينة الكاف بتونس في فيفري 1958 وكان به ستة أجهزة استقبال من طراز تليفونكن Telefunken وهمارلاند Hamarlund. وكان من العاملين بالمركز والذين قدموا من المغرب بعد تلقيهم التكوين نجد بوخاري عبد القادر، حمزة عبد القادر، فهيم أحمد، كوكب إدريس[36]. فهذين المركزين كانا لهما دور فعال في خدمة الثورة من خلال التقارير اليومية في تحليل المعلومات والتدخل السريع، ولهذا السبب ارتبط سلاح الإشارة بالمخابرات.

لقد بلغت المصالح التقنية للاتصالات اللاسلكية لبوصوف مستوى تقني جعل جميع مكالمات واتصالات الجيش والدرك والشرطة الفرنسية وسفارات وقنصليات فرنسا تسجل ليلا ونهارا، بحيث جاء في شهادة أحد ضباط المالغ أنهم كانوا على اطلاع بكل ما يجري، وزيادة عن ذلك فإن كل نشرات فرانس الخامسة France5 وإذاعة الجزائر وصوت البلاد كانت تسجل وتستغلّ، وبالمناسبة كانت كلها محطات تضليلية كثفت من برامجها في مغالطة الرأي العام، بالإضافة إلى تسجيل نشاط الولايات واتحادات جبهة التحرير في الخارج، واستنطاق الجنود الفارين من الجيش الفرنسي والأسرى كلها ترد إلى المركز، وكثيرا ما كانت تحتجز المراسلات التي كانت تقع بين الجنود الفرنسيين أو بينهم وبين عائلتهم، من طرف آلة لالتقاط الأخبار التي كانت في طريق الهيكلة[37].

بعد التطور التي شهدته الثورة في مجال الاتصال والإعلام عبر مصالح وزارة التسليح والاتصالات العامة، أصبح بمقدورهم التنصت على الجيش الفرنسي برا وبحرا وجوا، وهذا ما ذكره بن زغيد سيد أحمد أحد رجالات الاتصالات بأن المعلومات التي نلتقطها كنا نضبطها ونسجلها، فيها معلومات خاصة بالعدو ومعلومات أخرى عن جيش التحرير[38].

وفي ذات السياق تمكن ضباط الإشارة من تغليط قوات العدو أكثر من مرة، دخلوا في شبكاته وأعطوا معلومات خاطئة للطيران الفرنسي الذي ضرب مواقعه ودمرها أحيانا أخرى، مثل ما حدث في

معركة الزانة أين تمكن أحد الضباط العاملين على جهاز الراديو من الدخول في شبكة العدو وأعطى معلومات خاطئة للطيارين وبالتالي تحول قصف الطائرات من جبهة المجاهدين إلى جبهة العدو، وبعدما أكد الضابط للطيار أن المجاهدين يحملون الخوذة فوق رؤوسهم للتمويه، كانت ضربات الطيران موجعة لقوات المشاة الفرنسية [39].

9. خاتمة:

عرفت الثورة التحريرية في ميدان الإعلام نقلة نوعية إذا ما قورنت بما كان لدى الاستعمار الفرنسي، بدءً بالراديو إلى المذياع فالصحافة والإذاعة فوزارة التسليح والمواصلات العامة بمصالحها المختلفة، بقادتها وإطاراتها وجنودها العاملين في الخفاء، بحيث برهنوا للجيش الفرنسي ومن وراءه الحكومة الفرنسية ومسؤوليها أن الثورة الجزائرية قادها رجال كشفوا وفضحوا ألاعيب الجمهورية الفرنسية الرابعة والخامسة من خلال تماديها في استعمال أساليب منافية للقواعد الدولية في مجال الإعلام.

الهوامش:

1- صالح بلحاج، **تاريخ الثورة الجزائرية**، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2008، ص 262.

2- وتعرف بالفصائل الإدارية المتخصصة وهي امتداد للمكاتب العربية التي أنشأتها إدارة الاحتلال سنة 1833 من طرف تريزل Trezel، وفي هذا الصدد أكد لاكوست: "**إن الفصائل الإدارية المتخصصة التي أنشئت هي استمرار لتقليد المكاتب العربية**". وقد ظهرت لأول مرة في الأوراس وقسنطينة سنة 1955 بموجب قرار في 25 سبتمبر 1955، ثم توسعت وبلغ عددها 700 سنة 1959، وليسوا كلهم من المجندين، بحيث نجد 150 مجندين والبقية احتياطيين على حد قول هنري لومير Henri le Mire. إن الفصائل الإدارية هي هياكل إدارية مدنية وعسكرية يقوم على إدارتها ضابط يشرف مباشرة على التنظيم والتوجيه والمتابعة، وتضم ثلاثون حركي بالإضافة إلى مساعدين في عدة اختصاصات. أنظر، مجموعة باحثين، **إستراتيجية العدو الفرنسي لتصفية الثورة الجزائرية**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات م.و.د.ب.ح.و.ث. ن. 1954، 2007، ص308، 309.

3- جاك سوستال (1912- 1990): متخصص في علم الأجناس، ومتخصص في أمريكا اللاتينية، مدير فرعي لمتحف الإنسان (1939-1937)، التحق بديغول 1940، كان محافظا وطنيا للإعلام 1942، مدير عام للمصالح الخاصة للجزائر 1944، ثم محافظ للجمهورية ببوردو، ثم وزيرا للإعلام 1945، وزير للمستعمرات 1945-1946، أمينا عاما لـ RPF وأحد مؤسسيه 1947- 1951، حاكم عام للجزائر 1955، وزير الإعلام 1958. ثم وزيرا منتدبا بالقرب من الوزير المقيم 1959- 1960، كان من دعاة الإدماج وضد سياسة ديغول في تقرير مصير الجزائر، استقال من الحكومة في فيفري 1960، وبعد 7 سنوات من العزلة (نفي إلى إيطاليا)، رجع إلى فرنسا بعد العفو 1968، وصار نائبا 1973 انتخب عضوا الأكاديمية الفرنسية 1983، أنظر، رشيد اوعيسى، **كراسات هارتموت السنهانس، حرب الجزائر حسب فاعليها الفرنسيين**، تر: محمد المعراجي، عمر المعراجي، دار القصبة، الجزائر، 2010، ص 355.

4- مسعود معداد، **حرب الجزائر أحداث تاريخية وتعاليق**، تر: حروش موهوب، موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص 79.

5- **المجاهد**، العدد 60، 25 جانفي 1960، ص 4.

6- علي هارون، **الولاية السابعة، حرب جبهة التحرير الوطني داخل التراب الفرنسي 1954- 1962**، تر: مصطفى ماضي، الصادق العماري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 355، 356.

7- تأسس المكتب الخامس بموجب قرار وزاري في 1 مارس 1955 لتعزيز قيادة أركان الناحية العسكرية العاشرة وعرف باسم "**المكتب الجهوي للعمل النفسي**"، وذهب هنري دسكومبان Henri Descombin في تحديد مفهوم هذا المكتب: "**إن المكتب الخامس للعمل النفسي مؤسسة نوعية لحرب الجزائر**"، أنظر، مجموعة باحثين، **إستراتيجية العدو الفرنسي لتصفية الثورة الجزائرية**، المرجع السابق، ص 306، 307.

8- **المجاهد**، المصدر السابق، ص 4.

9- أحمد بجاوي، **السينما وحرب التحرير، الجزائر، معارك الصور**، تر، مسعود جناح، منشورات الشهاب، الجزائر، 2014، ص 55،56.

10- أحمد حمدي، **الثورة الجزائرية والإعلام**، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص60.

11- **المجاهد**، افتتاحية العدد الأول، جوان 1956، ص1.

12- أول عدد سحب لجريدة المجاهد في منزل مصطفى بن ونيش بالقبة (في العاصمة) وذلك في آخر شهر جوان 1956، أنظر، بوعلام بن حمودة، **الثورة الجزائرية معالمها الأساسية**، دار النعمان، الجزائر، 2012، ص322.

13- أحمد حمدي، المرجع السابق، ص 127.

14- صدرت في باريس في نهاية 1955 من طرف بعض المناضلين الجزائريين، وصدرت طبعة ثانية في المغرب في أوائل 1956، مختلفة في طريقة تحريرها وأسلوبها، ثم ظهرت طبعة ثالثة في منتصف 1956 بتونس. لم تكن الطبعات الثلاث في نسق واحد، فالطبعة الثالثة وتسمى الطبعة الجزائرية الصادرة في تونس كانت تطبع بمطبعة صغيرة بنهج المفتي قرب جامع الزيتونة، وصدرت أعدادها الأولى باللغة العربية وكانت نصف شهرية ثابتة، العدد الأول صدر في نوفمبر 1956، وأول مشرف عليها هو عبد الرزاق شنتوف المحامي، أما أسرة التحرير كانت تتكون من عبد الرحمن شيبان، محمد الميلي، محمد الصالح الصديق، الأمين بشيشي. ولما انعقد مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956 تقرر إلغاء كل الطبعات وتوحيدها في جريدة واحدة "**المجاهد**" التي أصبحت اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، أنظر، **الإعلام ومهامه أثناء الثورة، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الإعلام والإعلام المضاد**، منشورات م.و.د.ح.و.ث.أول نوفمبر 1954، 1998، ص 372، 373.

15- الأمين بشيشي، **نماذج من الإعلام والإعلام المضاد، الإعلام ومهامه أثناء الثورة**، نفسه، ص 274، وأيضا، أحمد حمدي، المرجع السابق، ص 121.

16- شهد عام 1956 انطلاق سبع إذاعات ناطقة باللغة العربية وواحدة بالفرنسية وهي إذاعة جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني من غرب الجزائر بالحدود المغربية الجزائرية، إذاعة تطوان، صوت الجزائر من تونس الشقيقة، صوت الجمهورية الجزائرية من صوت العرب بالقاهرة، صوت الجزائر من الرباط، صوت الجزائر من طنجة، صوت الجزائر بالفرنسية من البرنامج الدولي بإذاعة القاهرة، وفي عام 1958 أضيفت ثمانية إذاعات صوت الجزائر من طرابلس، بنغازي، سوريا، الكويت، العراق، الأردن، السعودية، بالإضافة إلى الجزائر اليوم وهي إذاعة خاصة موجهة إلى الجزائر باللهجة الجزائرية، أنظر، عبد القادر نور، **شاهد على ميلاد صوت الجزائر ذكريات وحقائق**، ط1، دار هومه، الجزائر، 2006، ص 32 ،33.

17- خصصت إذاعة القاهرة ثلاثة برامج أسبوعية للجزائر لكل حصة عشرة دقائق، وهي الأول برنامج "**وفد جبهة التحرير يخاطبكم من القاهرة**" كان يذاع باللغة العربية من محطة صوت العرب وهو عبارة عن تعليق سياسي، والثاني "**هنا صوت الجمهورية الجزائرية**" يذاع باللغة الفرنسية، والثالث برنامج جزائري يخاطب الفرنسيين يذاع باللغة الفرنسية. أما الإذاعة الجزائرية في تونس فقد بدأت سنة 1956 وهو برنامج تونسي بعنوان: " **هنا صوت الجزائر المجاهدة الشقيقة**" يذاع ثلاث مرات في الأسبوع لمدة ربع ساعة، أنظر، عمار قليل، **ملحمة الجزائر الجديدة**، ج2، دار العثمانية للنشر، الجزائر، 2013، ص110.

18- المرجع نفسه، ص 110.

19- من مواليد 1926 بميلة، عضو في المنظمة الخاصة 1947، عضو مؤسس للجنة الثورية للوحدة والعمل، ثم في مجموعة 22، نائب قائد الولاية الخامسة، ثم عضو في لجنة التنسيق والتنفيذ 1957، وزير التسليح والعلاقات العامة في الحكومة المؤقتة 1958، بعد الاستقلال

انسحب من المسرح السياسي ليتولى إدارة شؤونه الخاصة، وتوفي في 31 ديسمبر 1980، أنظر، شرفي عاشور، **قاموس الثورة الجزائرية 1954-1962**، تر: عالم مختار، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 91، 92.

20- شهادة رشيد نجار، **الإعلام ومهامه أثناء الثورة**، المرجع السابق، ص 457.

21- شهادة عبد الكريم حساني، نفسه، ص 438.

22- السنوسي صدار، **موجات الصدام اللاسلكي والإذاعة السرية خلال حرب التحرير**، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار، الجزائر، 2003، ص 141.

23- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1954- 1962**، الجزء 9، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 224.

24- شهادة قدور ريان، **التسليح والمواصلات أثناء الثورة التحريرية 1956-1962**، منشورات وزارة المجاهدين، المركز.و.د.ب.ح.و.ث.ن.1954، 2001، ص 52.

25- **الإعلام ومهامه أثناء الثورة**، المرجع السابق، ص 458.

26- مجموعة باحثين، **إستراتيجية العدو الفرنسي لتصفية الثورة الجزائرية**، المرجع السابق، ص 336، 337.

27- عمار قليل، **ملحمة الجزائر الجديدة**، ج2، دار العثمانية للنشر، الجزائر، 2013، ص110، 111.

28- بدءً من نهاية 1956، تم تثبيت مركز للتشويش مجهز بآلات بث قوية في منطقة الحراش بالجزائر العاصمة، للتشويش على الجزائريين المتعطشين لمعرفة أخبار الثورة المذاع عبر محطة جيش التحرير صوت الجزائر الحرة المكافحة، أنظر، حاج حدو محمد، **المحاربون عبر الأثير وشهداء التاريخ، تاريخ شهداء اللاسلكي**، ط1، دار القدس العربي، الجزائر، 2013، ص 37.

29- السنوسي صدار، المرجع السابق، ص 139، 140.

30- مجلة أول نوفمبر، العدد 82، مارس 1987، ص 37.

31- الأمين بشيشي، **أضواء على إذاعة الجزائر الحرة المكافحة ومحطات إذاعية أخرى متضامنة**، منشورات أصالة ثقافة، 2013، ص 61، 62.

32- محمد عباس، **فصول من ملحمة التحرر**، سلسلة شهادات تاريخية، الجزء 9، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 265.

33- LE MALG Ministère de l'Armement et des L liaisons Générales, **Abdelhafid Boussouf ou la stratégie au service de la révolution**, Gharnata éditions, Alger, 2014, p69.

34- الأمين بشيشي، المصدر السابق، ص 62، 63.

35-Debbah Mohamed, **on nous Appelait les Réseaux Radio Rebelles**, Gharnata éditions, Alger, 2013, p57.

36- مصطفى بن عمر، **الطريق الشاق إلى الحرية**، دار هومه للطباعة النشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 193، 194.

37- محمد لمقامي، **رجال الخفاء، مذكرات ضابط في وزارة التسليح والاتصالات العامة**، تر: علي ربيب، ANEP، 2005، ص 198.

38- شهادة بن زغيد سيد أحمد المدعو فراح، **التسليح والمواصلات**، المرجع السابق، ص 147، 148.

39- بوعلام دكار، "**جيش التحرير الوطني وحرب الموجات الصوتية**"، مجلة الجيش، العدد 354، السنة 29، جانفي 1993، ص 24.